Dirassat & Abhath
The Arabic Journal of Human and Social Sciences

مجلة دراسات وأبحاث
المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية

EISSN: 2253-0363
ISSN : 1112-9751

التفاعل النقدي العربي مع مصطلحات النقد الثقافي

تجربة عبد الله الغذامي أنموذجا.

Arab critical interaction with the terminology of cultural criticism

Abdullah Al-Ghadhami's experience as a model

بن جديد جمال Bendjedid Djamel

المركز الجامعي صالحي أحمد النعامة University Center Salehi Ahmed, Naama

bendjedid.djamel@cuniv-naama.dz

تاريخ الاستلام 2020-12-02 تاريخ القبول 2021-04-22

ملخص:

لقد عرف النقد الغربي المعاصر هزّات و ردات فعل عنيفة على مستويات ثقافية و معرفية مختلفة، غيّرت الرؤية النقدية تغييرا جذريّا، و لعلّ مرحلة مابعد البنيوية Post structuralisme كانت أبرز تلك الهزات، و الّتي برزت على إثرها مجموعة من المقولات و النظريّات كالجنوسة و التّلقي و التّأويل و ظهور أيضا ما يسمى بالنقد الثقافي، و نقدنا العربي كغيره من المعارف تأثر بما جاءت به مرحلة ما بعد البنيوية فراح النقاد و أهل الاختصاص يترجمون و ينقلون و يتفاعلون مع مستجدات تلك المرحلة و خاصة النقد الثقافي و مصطلحاته الواردة.

و ما ترومه هذه الورقة البحثية الموسومة ب"التفاعل النقدي العربي مع مصطلحات النقد الثقافي تجربة عبد الله الغذامي أنموذجا" توضيح واقع المصطلح النقدي الثقافي في نقدنا العربي، و إلى أي مدى استطاع الناقد العربي امتلاك ترسانة مصطلحات النقد الثقافي و كيف تعامل معها؟ مستأنسين بتجربة الناقد السعودي عبد الله الغذامي الّذي تفاعل مع تلك المصطلحات المعاصرة و في الوقت نفسه أبدى اهتماما بالمصطلحات البلاغية التراثية و حاول أن يعطيها لمسة ثقافية جديدة.

كلمات مفتاحية: تفاعل عربي، مصطلح ، نقد ثقافي ، عبد الله الغذامي.

Abstract :

Contemporary Western criticism has witnessed tremors and violent reactions at different cultural and cognitive levels, which radically changed the critical vision, and perhaps the post-structuralism stage was the most prominent of those shocks, in which a group of sayings and theories emerged, such as gender, receptivity and interpretation. And the emergence of so-called cultural criticism, and our Arab criticism like other knowledge was influenced by what was brought about by the post-structuralism stage, so critics and specialists began to translate, transmit and interact with the developments of that stage ,especially cultural criticism and its received terminology .What is the purpose of this research paper tagged "Arab critical interaction with the terms of cultural criticism, the experience of Abdullah Al-Ghadhami as a model" to clarify the reality of the cultural critical term in our Arab criticism, and to what extent has the Arab critic been able to possess the arsenal of cultural criticism terms and how did he deal with it ?, Domesticated With the experience of the Saudi critic Abdullah Al-Ghadhami, who interacted with these contemporary terms and at the same time he showed interest in the traditional rhetorical terminology and tried to give it a new cultural touch.

Keywords: Arabic interaction; term; Cultural criticism;Abdullah Al-Ghadhami.

. مقدمة:

و في مرحلة متأخرة جدا قُلبت فيها جميع الموازين، و زَعزع فيها العقل الأوربي جميع الثّوابت و المرتكزات سميت بمرحلة (ما بعد الحداثة)، تأثّر النقد الأدبي كغيره من العلوم و المعارف، فتجاوز النقد مرحلة البنيوية إلى ما بعدها، ثم تجاوز بعضُ النقاد الحداثيين النقد الأدبي لما اكتشفوه فيه من تقصير ليبشروا بموته و يعلنوا حياة نقد جديد هو (النقد الثقافي)، و لم يكن النقد ليصل إلى ما وصل إليه اليوم لولا أنّه اتّبع خط سير متسلسل بدأ بالبنيوية، ثمّ التّفكيكية، ثمّ نظريات التّلقي و غيرها، ليصل في الأخير إلى النقد الثّقافي. فما هو النقد الثقافي؟و ما هي أبرز مصطلحاته؟ و كيف استقبل العقل العربي هذه المصطلحات ؟

و كل هذه التساؤلات منبعها من إشكالية محورية دار حولها موضوع هذا البحث، مفادها : إلى أيّ حد استطاع الناقد العربي المعاصر أن يضع مصطلحا نقديا ثقافيا يستوعب المفاهيم النقدية الثقافية السائدة عند الغربيين، دون أن ينزاح عن معناها الحقيقي المقصود ؟

و لأجل ذلك وسمنا بحثنا هذا بـ: (التفاعل النقدي العربي مع مصطلحات النقد الثقافي تجربة عبد الله الغذامي أنموذجا)، و هو بحث يُعنى بالمصطلح النقدي الثقافي في مرحلة ما بعد البنيوية، ترجمة و تأصيلا و توظيفا في الدّراسات النقدية العربية المعاصرة، و أخذ تجربة الناقد السعودي عبد الله الغذامي أنموذجا، و قد تطرقنا فيه إلى العديد من الإشكاليات المهمّة على رأسها : كيفية تعامل العقل العربي مع مصطلحات النقد الثقافي الوافدة ، كما قمنا فيه بشرح المصطلحات الرئيسية في حقل النقد الثقافي مثلا (النقد الثقافي، التحليل الثقافي، التاريخانية الجديدة ...الخ)، مع إزالة اللّبس الّذي طالما ارتبط بهذه المصطلحات .

و قد استندنا في دراستنا النقدية هذه على المنهج التّاريخي الّذي يسعنا في تتبّع (المصطلح النقدي)كرونولوجيا، ليجتثّ أصوله و منابعه الّتي انبثق منها، و هذا شيء صحيح، و لكن الاكتفاء بأُحادية المنهج هذه تجعل من عملنا هذا عملا كلاسيكيا ناقصا، ممّا اضطرنا إلى المزاوجة ثم المثالثة بين المناهج البحثية، و ذلك بالاستعانة بآليات المنهجين الوصفي و التحليلي. و اللّذان ركّنا إليهما لمعاينة المصطلحات النقدية وفق قراءة محددة ومضبوطة، ليكتمل لدينا في الأخير منهج بحثيٌ متكامل هو المنهج التّاريخي الوصفي التحليلي.

2. مفهوم النقد الثّقافي : Cultural Criticism:

إذا أردنا أن نجد تعريفا عاما للنقد الثّقافي نقول بأنّه ": نشاط فكري يتّخذ من الثّقافة بشموليتها موضوعا لبحثه و تفكيره و يعبر عن مواقف إزاء تطوراتها و سماتها "[1]، و قد تطوّر البحث في مجال الثّقافة في الأبحاث الغربية الحديثة، و بالتّحديد مع القرن الثّامن عشر، غير أنّ بعض التّغييرات الحديثة، لاسيما مع مجيء النّصف الثّاني من القرن العشرين، أخذت تكسبه سمات محدّدة على المستويين المعرفي و المنهجي لتفصله من ثمّ عن غيره من ألوان النقد و بالقدر الّذي استدعى الإشارة إليه، مع بداية التّسعينيات من القرن الماضي، بوصفه لونا مستقلا من ألوان البحث قد تطوّر الأمر بأحد الباحثين الأمريكيين المعاصرين وهو (فنسنت ليتش) إلى الدّعوة إلى (نقد ثقافي ما بعد بنيوي)[2]، تكون مهمته الأساسية تمكين النقد المعاصر من الخروج من نفق الشكلانيين و النقد الشكلاني الذي حصر الممارسات النقدية داخل إطار الأدب كما تفهمه المؤسسات الأكاديمية الرسمية، و بالتّالي تمكين النقاد من تناول مختلف أوجه الثّقافة و لاسيما تلك التي يُهملُها عادة النّقد الأدبي، و قد تبعه في هذا المنطلق الناقد العربي (عبد الله بن محمد الغذامي) من خلال كتابه المعنون ب(النقد الثّقافي قراءة في الأنساق الثّقافية العربية 2000م) حيث استخدم أدوات النقد الثقافي لاستكشاف عدد من الظواهر الثقافية العربية، و الّتي لم تستطع مختلف مدارس النقد الأدبي السابقة التصدّي لها .

لقد أطلق فنسنت ليتش مصطلح (النقد الثّقافي) على مشروعه النقدي هذا و جعله مصطلحا رديفا لمصطلحي (ما بعد الحداثة) و (ما بعد البنيوية)، حيث يقوم النقد الثقافي عند ليتش على ثلاثة خصائص هي :

-لا يؤطر النقد الثقافي فعله تحت إطار التصنيف المؤسساتي للنص الجمالي، بل ينفتح على مجال عريض من الاهتمامات إلى ما هو غير

محسوب في حساب المؤسسة، و إلى ما هو غير جمالي في عرف المؤسسة سواء كان خطابا أو ظاهرة .

-من سنن هذا النقد أن يستفيد من مناهج التحليل العرفية من مثل: تأويل النصوص و دراسة الخلفية التّاريخية، إضافة إلى إفادته من الموقف الثقافي النقدي و التحليل المؤسساتي .

-إنّ الّذي يميّز النّقد الثّقافي الما بعد بنيوي هو تركيزه الجهوي على أنظمة الخطاب و أنظمة الإفصاح النصوصي ، كما هي لدى بارث و دريدا و فوكو، خاصة في مقولة دريدا (لاشيء خارج النص)، و هي مقولة يصفها ليتش بأنّها بمثابة البروتوكول للنقد الثّقافي الما بعد بنيوي، و معها مفاتيح التّشريح النّصوصي كما عند بارث و حفريات فوكو.[3]حيث حدّد ليتش من خلال توضيحاته هته حدود النقد الثّقافي و مجال اشتغاله حيث أنّه يتجاوز المؤسساتي و الجمالي إلى ما هو غير مؤسساتي و غير جمالي،كما أنّه يستمد آلياته من مناهج التّحليل العرفية و دراسة الخلفيات التاريخية كما فعل فوكو و دريدا و غيرهما ممّن ركب موجة الحداثة .

لم تتبلور فكرة النقد الثقافي مع ليتش فحسب بل مع كوكبة من الفلاسفة و النقاد أبرزهم الإيطالي أنطونيو غرامشي A.Gramxiصاحب المصطلح و المفاهيم التالية (الهيجمونيا[4]-حرب المراكز [5]–حرب الحركة [6]–الثّقافة و المثقّف العضوي [7]–المجتمع المدني [8]) ،و مدرسة فرانكفورت école de francfort (1923م) و التي من روادها :تيودور أدورنو(1903م-1969م)،ماكس هورخايمر (1895م-1973م)،يورغن هاربرماس(1929م)،آيريتش فروم (1900م-1980م) ، والتر بليامين (1892م-1940م) ،هيربيرت ماركيوز (1898م-1979م) و قد دعا رواد هذه المدرسة إلى مناهضة السلطة التي تستغل الثقافة للهيمنة على المجتمع و تضليله و تعميته ،ممثلة في وسائل الإعلام .و مركز برمنغهام للدراسات الثقافية (1964م) Temporary Studes Birmingham center for cultural حيث ارتبطت برائدها ستيوارت هول إضافة إلى بول وليس و ديك هيبداج و توني جيفرسون و أنجيلا مكروبي. و مع السبعينيات ظهرت أفكار الفيلسوف الفرنسي ميشال فوكو (1926م-1984م) أشهر فلاسفة القرن العشرين المتأثر بأفكار كل من نيتشه و ألتوسير و كانط و هايدغر و جورج بوتايل و جورج دوميزيل و غيرهم ،و قد تأثر به كل من إدوارد سعيد و جاك رانسي حيث حلّل فوكو تاريخ الجنون و عالج مواضيع مثل :الإجرام و العقوبات و الممارسات الاجتماعية في السجون و هو مبتكر مصطلح (أركيولوجيا المعرفة)[9]، كما أنه أرّخ للجنس أيضا من خلال "حب الغلمان عند اليونان " من مؤلفاته : المرض العقلي و علم النفس 1954م، الكلمات و الأشياء 1966 م، أركيولوجيا المعرفة 1969م، المراقبة و العقاب :ميلاد السجن 1975م، تاريخ الجنسانية 1984 م. و من المفاهيم التي درسها فوكو أركيولوجيًا مفهوم (المؤسسة)، فالمؤسسات الاستشفائية و المؤسسات العقابية-حسبه- لا تؤدّي العمل الذي تُروّج له ،بل أهدافها خفية و عدائية، و هي حقائق كشف عنها فوكو "فالمؤسسات العلاجية بكل أصنافها لا تقوم بأي وظيفة طبية، لأنّها لا تتوفّر على أيّ فكرة طبيّة، فمهمتها الأولى سياسية قبل كل شيء، شبيهة بتلك الّتي يقوم بها السجن، ضمن سياسة انضباطية عامة ،تقوم على المراقبة و المعاقبة للعناية و القمع، و للمساعدة و الاعتقال، الشيء الّذي يجعل هذه المؤسسات مؤسسات غريبة يصعب أحيانا تحديد معناها و وضعها ".[10]فالمؤسسات هي عبارة عن بنيات مجسدة وظيفتها أن تماثل بين ممارسات القمع و الخطاب التّطبيعي للمرض العقلي و العيادة و هذه المماثلة بين الممارسات و الخطاب المؤسساتية هي ما يسائله ميشال فوكو في أعمال الستينيات بإدراج تحليل ميكروفيزيائي أي عميق للسلطة قصد معاينة المؤسسات التأديبية العقابية و المدارس و السّجون و المستشفيات و المصانع و دور العجزة ...الخ، و هو ما سيسمح له بإدراج فجوة بين عقلانية الخطاب بأنّه طبيعي عادي الّذي تتحدّث به المؤسسة عن نفسها و بين تسويغ ممارساتها التأثيرية و القمعية في عملها.

يقول ميشال فوكو في حوار له مع تشومسكي عبر قناة فرنسية :"يعلم المرء بأن الجامعات و بصورة عامة كل المؤسسات التعليمية التي تبدو و كأنها تنشر المعرفة فقط، فقد صنعت للمحافظة على طبقة اجتماعية معينة في موضع القوّة و لحصر امتلاكها لأدوات القوّة دون الطبقات الاجتماعية الأخرى، و مؤسسات الوعظ و الرعاية كالطب تساعد أيضا في دعم القوة السّياسية .

لقد استقطب النقد الثقافي و مفاهيمه عددا من المشتغلين في حقلي الفكر و النقد الأدبي، بالإضافة إلى العديد من الكُتاب، غربيين و عرب، و قد اجتهد الكثير من هؤلاء في إيضاح (النقد الثّقافي) ، و أهدافه، و شرح معالمه النظرية و التّطبيقية، كلّ من منظوره، و النّقد الثّقافي مصطلح مركب من كلمتين (**النقد**) و (**الثقافي**) و كلاهما ليسا شيئا جديدا، غير أن معانيهما قد تغيرت و تطورت مع مرحلتي البنيوية و ما بعدها، حيث يستمد هذا المصطلح معناه من

تركيبته الثنائية ، حيث يلعب المصطلح الثاني (الثقافة) دورا محوريا حاسما في تشكيل المعنى المراد من هذا النقد الما بعد بنيوي .

3 .التفاعل العربي مع النقد الثقافي:

لقد انبهر العقل العربي بمنجزات العقل الغربي منذ بزوغ شمس نهضته إلى يومنا هذا، و لعل مرحلة ما بعد الحداثة كانت ذروة هذا الانبهار، فأصبح تقليد الغرب في أفكاره موضة يتباهى بها المفكرون العرب، فكانت الدّراسات الثّقافية أبرز دليل على ذلك، و قد اختلفت صور هذا الانبهار بين المشاركة في التّأسيس و بين التأثّر و التقليد، فظهرت مجموعة من المؤلفات العربية تتحدّث عن النقد الثّقافي و تقدّمه للقارئ العربي –إمّا قبولا أو رفضا- و توظف آلياته في قراءة نماذج عربية مختلفة، و من هذه المؤلفات :

-(النقد الثّقافي قراءة في الأنساق الثّقافية العربية)عبد الله الغذامي 2000م.

-(الإستشراق)Orientalism إدوارد سعيد 1978م.

-(العالم و النص و الناقد) The world ,The text,and the critic إدوارد سعيد 1983م.

-(النظرية و النقد الثّقافي)محسن جاسم الموسوي، (النقد الثّقافي قضايا و قراءات) عبد الفتّاح العقيلي،(جماليات التحليل الثقافي) يوسف عليمات، (تحولات النقد الثقافي) عبد القادر الرباعي .

، (تمارين في النقد الثقافي)صلاح قنصوة، (الخروج من التيه)عبد العزيز حمودة.

و من المؤسسين للنقد الثقافي عربيا الناقد الفلسطيني إدوارد سعيد[11](1935-2003)Edward w.said م،و ذلك من خلال كتابيه (الإستشراق 1978م) و (العالم و النص و الناقد 1983م)،و يعتبر كتابه الإستشراق مشروعا جديدا لفضح أفكار ما قبل الكولونيالية و ما بعدها، فقد رأى فيه طريقا لاستعمار الغرب للشرق، و مصطلح الاستشراق هو مصطلح حديث مترجم عن الكلمة الأجنبية Orientalism و "تعني الدّراسة الغربية للشرق و هي حركة دراسة العلوم و الأدب و الثّقافة الإسلامية بهدف معرفة عقلية المسلمين و أفكارهم و اتجاهاتهم و أسباب قوتهم و مواطن ضعفهم "،[12]و تخصّ هذه اللّفظة (الشّرق و العالمين العربي و الإسلامي عموما) و في معاجم اللّغة العربية هي لفظة مصوغة على وزن استفعال، مأخوذة من كلمة (شرق) و أُضيف لها ثلاث حروف هي الألف و السين و التاء و معناها "طلب الشرق"، و ذكرها معجم الوسيط بمعنى "شرقت الشّمس شرقا شروطا أي طلعت " [13] و قد عرّفه أخضر شلبي " هو مجموعة الدّراسات الّتي يقوم بها أهل الغرب عن الشرق، ديانته و أعرافه و ثقافته، فقد أطلق على الدّراسة الّتي تُعنى بدراسة العالم الشرقي مصطلح (الاستشراق) و أطلق على الغربيين الّذين يقومون بالدّراسة الاستشراقية أنهم جماعة من المؤرخين و الكتاب الأجانب الذين خصّصوا جزء من حياتهم في دراسة الشرق و تتبع المواضيع التراثية و التاريخية و الدينية و الاجتماعية للشرق " [14]، و في أغلب الأحايين كانت نية المستشرقين نية استعمارية خبيثة، بهدف السّيطرة على شعوب الشّرق، و قد جاءت دراسة إدوارد سعيد في كتابه (الاستشراق) حملة ضد الاستشراق، باعتباره مؤسسة استعمارية مسلطة ضد الشعوب الشرقية لقهرها و السيطرة عليها بخلفيات و استراتيجيات مدروسة و متعمّدة و مجهّزة بالتّحليل و النقد و التقصّي، ليكون النقد الثّقافي وسيلة كاشفة عمّا هو وراء مفهوم الاستشراق التقليدي الذي كان يظهر المستشرق على أنه (سائح/ مستكشف/عالم بيولوجي /تاريخي /حامل حضارة ...الخ).

يورد إدوارد سعيد في كتابه الاستشراق أقولا لمستشرقين ليستشهد بها، مثل قول شاتوبريان عن الشّرقيين :" ...عن الحرية لا يعرفون شيئا، من الاحتشام ليس لديهم شيء، القوّة هي ربهم، و حين تمرّ بهم فترات طويلة لا يرون فيها فاتحين يطبقون عدالة السّماء، فإنّهم يبدون كجنود دون قائد مثل مواطنين دون مشرّعين، مثل عائلة بلا أب "[15]، يقول إدوارد سعيد :" درست القوى العظمى جميع الأقليات من يهود و روم و أرثودكس و روس و دروز و شركس و أرمن و أكراد و المذاهب و المِلل المسيحية الصغيرة المختلفة و خطط لها و تمّ التآمر عليها من قبل هذه القوى العظمى "[16]و في الختام يقول إدوارد سعيد "لقد استطعت أن أستخدم الاهتمامات الإنسانية و السياسية لتحرير قضية دنيوية جدّا ،و هي بزوغ الاستشراق و تطوره و كيفية تثبيته لمواقعه و كذا التأكيد على أن الأدب و الثقافة ليسا بريئين سياسيا و تاريخيا كما كان يُعتقد"[17] ، لذا يعدّ إدوارد سعيد من محلّلي "الأفكار الاستشراقية "و من محلّلي " الخطاب الاستعماري " ، و من أهم منظري "ما بعد الاستعمارية"[18]، فقد استطاع بمفرده أن يصبح حقلا من البحث الأكاديمي .

و بحثُ إدوارد في "الاستشراق" قد ساهم في تأسيس رؤيته حول "الكولنيالية[19] و ما بعدها "، فحلّل الخطاب الاستعماري و فكّكه،

بهدف نقد السلطة الغربية الّتي تخدم مركزية الغرب المهيمن الاستعماري الأمبريالي .

كما حلّل إدوارد سعيد (النقد) و حدّد أنواعه و أهداف كل نوع منها، يقول في كتابه (العالم و النص و الناقد عن الممارسة النقدية و دورها :" إن ممارسة النقد في هذه الأيام، تتّخذ لها أربعة أشكال رئيسية : فالأولى هو النقد العملي الذي نجده في مراجعة الكتب و في الصحافة الأدبية، و الثّاني هو التّاريخ الأدبي الأكاديمي الّذي ينحدر إلينا من الاختصاصات الّتي كانت قائمة في القرن التّاسع عشر، كدراسة الأدب الكلاسيكي و الفيلولوجيا و تاريخ الحضارة، و الثّالث هو التّقويم و التّأويل من زاوية أدبية أمّا الشّكل الرّابع فهو النظرية الأدبية الّتي هي بمثابة مضمار جديد نسبيا و هذه النظرية برزت في الو م أ مثل ما فعل والتر بنيامين و الفتى جورج لوكاتش "[20]، لقد حدّد ادوارد سعيد أشكال الممارسة النقدية الأربعة : النقد العلمي، التأريخ الأدبي، التقويم و التأويل من زاوية أدبية، النظرية الأدبية.

كما قدّم إدوارد سعيد مصطلح (الناقد المدني) Secular Criticism عام 1983م، في مقدمة كتابه الذي ذكرناه آنفا (العالم و النص و الناقد)، و هذا المصطلح لم يلقى عند النقاد الاهتمام الّذي يستحقه في زمنه، غير أنّ صاحبه لم يغفل عنه و ظل يعود إليه مرارا، و لما ذاع صيت الدّراسات الثّقافية في العالم العربي بدأ مفهوم (النّاقد المدني) في الرّواج لدى النّقاد، "و هذا المصطلح يضع الناقد على حدّ الشّفرة بين النظام المؤسساتي الّذي يدير فعل الناقد و بين الثّقافة التي تتحدّى فعل النقد في حيويتها كحدث غير ممنهج، و سعيد هنا يرى أن على الناقد أن يحوّل هذا التعارض بين النظام و الثقافة إلى تجانس يخدم الفعل النقدي عبر استعداد الناقد لمساءلة الخطاب النقدي ذاته مع انفتاحه على الأقليات المهمشة من أجل إحضارها إلى المتن الثّقافي "،[21]و إذا ما رمنا ذاكرة هذا المصطلح نجد صاحبه يصوغه انطلاقا من تشبّعه من نظريات المدرسة الظاهرية القرطبية عند ابن حزم و ابن جني و ابن مضاء القرطبي الّذين أفاد منهم ادوارد سعيد كثيرا ،و الّذي نبّه إلى ما لدى المدرسة الظاهرية من أفكار في تفسير النصوص لا تعزل النص عن تفاعلاته الواقعية و البشرية و الثّقافية .

4. تجربة عبد الله الغذامي مع النقد الثقافي:

و من أبرز المؤسسين العرب لهذا النوع من النقد عبد الله الغذامي[22]الذي قدّم النقد الثّقافي على أنّه :" فرع من فروع النقد النصوصي العام و من ثمّ فهو أحد علوم اللّغة و حقول الألسنية معنيٌّ بنقد الأنساق المضمرة الّتي ينطوي عليها الخطاب الثّقافي بكلّ تجلياته و أنماطه و صيغه، ما هو غير رسمي و غير مؤسّساتي، و هو ليس معنِيٌّ بكشف الجمالي كما شأن النقد الأدبي و إنّما همّه كشف المخبوء من تحت أقنعة البلاغي الجمالي، فكما أنّ لدينا نظريات في الجماليات، فإنّ المطلوب إيجاد نظريات في القبحيات، و المقصود بنظرية القبحيات هو كشف حركة الأنساق و فعلها المضاد للوعي و للحس النقدي "،[23] فلقد حدّد الغذامي دور هذا المقترح الجديد و هو تقديم بدائل تجاهلها النقد الأدبي، و من هذه البدائل كشف المخبوء من تحت أقنعة البلاغي الجمالي، لأنّ النقد الأدبي "قد أوقعنا و أوقع نفسه في حالة من العمى الثقافي التام عن العيوب النسقية المختبئة من تحت عباءة الجمالي "[24]، و يعمل النقد الثقافي على تتبّع حركة الأنساق المضمرة و الكشف عنها ،و هو يرى أن مجال النقد الثقافي هو النص، لكن ليس النص الذي فهمناه في النقد الأدبي بل هو نص ينفجر معناه ليصبح في حجم ثقافة ما بأكملها فهو نصّ ملغّمٌ-إن صح التعبير –بأنساق مضمرة لا تنكشف إلا بالنقد الثقافي .

و يضيف عبد الله الغذّامي :" و بما أن النّقد الأدبي غير مؤهل لكشف هذا الخلل الثّقافي فقد كانت دعوتي بإعلان موت النقد الأدبي و إحلال النقد الثّقافي مكانه، و كان ذلك في تونس في ندوة عن الشّعر عقدت في 22سبتمبر 1997م، و كرّرت ذلك في مقال في جريدة الحياة (أكتوبر1998م) و ليس القصد هو إلغاء المنجز النقدي الأدبي ،و إنما الهدف هو تحويل الأداة النقدية من أداة في قراءة الجمالي الخالص و تبريره(و تسويقه)بغضّ النّظر عن عيوبه النسقية إلى أداة في نقد الخطاب و كشف أنساقه " [25].

لقد امتد مشروع الغذامي هذا لأكثر من 15 سنة، بداية من كتابه الأول (النقد الثّقافي قراءة في الأنساق الثّقافية العربية) الصادر سنة 2000م، و قد استطاع الغذامي أن يطوّر مشروعه هذا من خلال كتب أخرى تبعت كتابه هذا ،خاصة مع كتابه (الثقافة التلفزيونية الصادر سنة 2004م) و كتابه (اليد و اللّسان الصادر سنة 2011م) و(الفقيه الفضائي الصادر سنة 2011م)،حيث كان مشروعه هذا متّصلا حيث قدّم في كتابه الإطار النظري من مفاهيم و إجراءات و مصطلحات و كلّ ما يهمّ مشروعه هذا، ثمّ بعد ذلك استطاع أن يطبّق المفاهيم الّتي قدمها على بنيات خطاب، و على موضوعات مختلفة و بالتّالي هو أبرز انفتاحية النقد الثّقافي، حيث أنّه طبق على الشّعر في كتابه الأوّل ثم انتقل إلى الصورة، ثمّ على ظواهر أخرى

كالنّخبة و التّلفزيون و الفقيه الفضائي، حيث أنتج الغذامي آليات خاصة به كمفهوم النسق المضمر و المجاز الكلي و التورية الثقافية و هذه المفاهيم أتى بها من البلاغة العربية القديمة (المجاز ،التورية ،النسق، المؤلف) فهو ذهب إلى البلاغة القديمة و أخذ منها مجموعة من المفاهيم و حوّرها لتدلّ على ما هو ثقافي، لأنّ مفاهيم كالتورية و المجاز هي جوانب تحاول أن تستغور الجوانب الجمالية في النصوص، و هدف النقد الثّقافي ليس هو البحث فيما هو جمالي بل البحث في المخبوء تحت عباءة الجمالي، و بهذا يكون نشاط (النّقد الثّقافي) أوسع من كل المناهج النقدية السابقة و يهدف بالأساس إلى الكشف عن المضمرات النسقيّة في الخطاب، و هو يريد ترسيخ مفاهيم الغيرية و الما بينيّة كاحترام الآخر و الاعتراف به و عدم إقصائه تحت أي حجة من الحجج المؤسساتي.

5. **جهود الغذامي في تأصيل مصطلحات النقد الثقافي:**

لقد حاول الغذامي التّجديد في المصطلح البلاغي التّراثي و بعث فيه روح ثقافية جديدة يقول :" و ليس القصد هو إلغاء المنجز النقدي الأدبي، و إنّما الهدف هو في تحويل الأداة النقدية من أداة في قراءة الجمالي الخالص و تبريره (و تسويقه) بغض النظر عن عيوبه النسقية، إلى أداة في نقد الخطاب و كشف أنساقه، و هذا يقتضي إجراء تحويل في المنظومة المصطلحية "[26]

لقد دعا عبد الله الغذامي إلى ضرورة النّقلة النقدية من الأدبي المؤسساتي إلى الثّقافي، غير أنّ مثل هذه النقلة تحتاج إلى إجراء تعديلات و تحويلات في المصطلح لكي يتسنّى له تأدية مهمته الجديدة، و لإحداث هذه النقلة للفعل النقدي من كونه الأدبي إلى كونه الثقافي ،يقترح الغذامي مجموعة من الخطوات الضرورية لذلك و هي :

1-نقلة في المصطلح النقدي ذاته.

2-نقلة في المفهوم (النسق).

3-نقلة في الوظيفة.

4-نقلة في التّطبيق.

و لقد حدد الغذامي في النقلة الاصطلاحية ستة أساسيات هي :

-عناصر الرسالة (الوظيفة النسقية).

-المجاز (المجاز الكلي)

-التورية الثّقافية

-نوع الدّلالة

-الجملة النوعية

-المؤلف المزدوج.[27]

و هذه المنطلقات الستّة تشكّل المنطلق النظري و المنهجي لمشروع الغذامي .

6. النقلة الاصطلاحية عند الغذامي:

1.6-الوظيفة النسقية:

سعى الغذامي من خلال عنصره الأول (عناصر الرّسالة) إلى تحرير مصطلح (الأدبيّة) من مفهومها النقدي الأدبي التّقليدي، مضيفا و مقترحا مصطلح (**الوظيفة النّسقية**)، و ذلك من خلال دراسته لوظائف اللّغة عند ياكبسون و الّتي حدّدها ياكبسون في ستة عناصر (المرسل و المرسل إليه و الرّسالة و السّياق و الشّفرة و أداة الاتصال)، و لذا اقترح الغذامي إجراء تعديل في هذا النموذج الياكبسوني فيقول :" لذا فإنّنا هنا نقترح إجراء تعديل أساسي في النموذج و ذلك بإضافة عنصر سابع هو ما نسميه بالعنصر النّسقي، و ما دامت عملية الاتّصال تتمّ من مرسل إلى مرسل إليه بينهما رسالة تصل عبر أنواع من الوسائل التّوصيلية، و تقوم على شفرات يستعين المرسل إليه على فهمها بالسّياق المشترك بين أطراف الاتصال و فعل التّفسير و إذا ما أضفنا العنصر السّابع (العنصر النّسقي) فإنّنا بهذا نتيح مجالا للرسالة ذاتها بأن تكون مهيأة للتفسير النسقي "[28]

وعليه لقد اقترح الغذامي وظيفة سابعة تابعة للوظائف الستّة المرتبطة بعناصرها، و الوظائف هي :النفعية /التّعبيرية /المرجعيّة /المعجميّة /التّنبيهية /الشّاعرية (الجمالية) و أخيرا الوظيفة النّسقية الّتي نبّه إليها الغذامي و هي وظيفة تهتمّ بالدّلالات المضمرة الّتي تؤثّر على كل مستويات الاستقبال الإنساني، و تشتغل على النّصوص الأدبية و غير الأدبية (بالخصوص).

2.6- **المجاز و المجاز الكلي:**

أصبح المجاز قيمة ثقافية لا قيمة بلاغية /جمالية، حيث كان المجاز في المنظور البلاغي التقليدي مؤسسة ذوقية و مصطلحية

تتحكّم بشروط إنتاج و استقبال النّصوص، و قد كان المجاز يورث المتلقي قيما ضارّة و عيوبا خطيرة كما قال الغذامي ،[29] لذا اقترح الغذامي مفهوما آخر للمجاز يوسّع من مجاله و يهيئه لاستعمال نقدي أكثر وعيا بالفعل النّسقي و تعقيداته، و بما أن الخطاب يحمل بعدين أوّلين :أحدهما حاضر و ماثل في الفعل اللّغوي المكشوف، و هو هذا الذي نعرفه عبر تجلياته العديدة الجمالية و غيرها، أمّا البعد الآخر فهو البعد الّذي يمس (المضمر)الدّلالي للخطاب، هذا المضمر الفاعل و المحرك الخفي الّذي يتحكّم في كافة علاقاتنا مع أفعال التعبير و حالات التفاعل و بالتّالي فإنه يدير أفعالنا ذاتها و يوجه سلوكياتنا العقلية و الذّوقية[30] . و بالتّالي هذان بعدان كليان في اللّغة يحتاجان إلى مفهوم ذي بعد كلّي أيضا، و عبر توسيع هذا المفهوم بأن يخرج عن ثنائية الحقيقة/المجاز فيكون كليا و أن لا يقف عند حدود اللّفظة و الجملة بل يشمل الأبعاد النّسقية في الخطاب، فلذا صاغ الغذامي مفهوم و مصطلح (المجاز الكلي) كبديل إجرائي عن المجاز البلاغي .

3.6-التورية و التورية الثّقافية :

مصطلح التورية هو مصطلح بلاغيٌّ بامتياز، مرتبط بالظواهر اللّغوية المقصودة فعليا في صناعة الخطاب و تأويله، و هذا تقييد لحدود المصطلح المفهومية ،ممّا جعل الغذامي يسعى إلى إجراء تعديلات توسّع من قدرة هذا المصطلح العمليّة، و المفهوم التقليدي للتورية يشير إلى أن المقصود منها هو المعنى البعيد، و هو يخضع للقصد و التعمّد لإحداث الجمالية لدى المتلقي مما ورطها لتكون أسيرة الجمالي فقط لا أداة نقد أو قراءة أنساق الخطاب المضمرة و هذا ما غفلت عنه كلّ من البلاغة و من النقد الأدبي. لذا استعار الغذامي مصطلح (التورية) من البلاغة ليجعله أداة في النقد الثقافي، ثم وسّع في مفهومها لتدل دلالة كلية على حال الخطاب الذي بدوره ينطوي على بعد مضمر و لا شعوري و لا يمكن كشفه إلا عن طريق ما اصطلح عليه الغذامي (التورية الثقافية)، و هو بعد عميق أكثر فاعلية و تأثير من البعد الواعي و هو طرف دلالي ليس فرديا ولا جزئيا إنما هو نسق كلّي ينتظم مجاميع من الخطابات و السلوكات باعتبارها خطابات مثلما ينتظم الذوات الفاعلة و المنفعلة و هذا هو المدلول الأشمل لمصطلح (التورية الثقافية).[31]

4.6-نوع الدلالة (الدلالة النسقية):

مصطلح آخر نبّه له الغذامي هو (الدّلالة النّسقية) يتّخذ مكانة جديدة كانت مهملة بين الدّلالتين الصريحة و الدلالة الضمنية، فالأولى ترتبط بالشّرط النّحوي و وظيفتها نفعية /توصيلية، أمّا الثّانية فهي دلالة ضمنية ترتبط بالوظيفة الجمالية للغة، و (الدلالة النسقية) ترتبط في علاقات متشابكة نشأت مع الزمن لتكون عنصرا ثقافيا أخذ بالتشكل تدريجيا إلى أن أصبح عنصرا فاعلا يكمن داخل الخطابات، و هذا العنصر الثّقافي يتحكّم في تفكير الشّخص و في سلوكاته ممّا جعل الغذّامي يقترح مصطلح و مفهوم (الدّلالة الثّقافية) يقول :" و عبر هذه الدّلالة سنسعى إلى الكشف عن الفعل النّسقي من داخل الخطابات و تكون الدلالات حينئذ كالآتي :

1-الدّلالة الصريحة و هي عملية توصيلية.

2-الدّلالة الضمنية و هي أدبية ضمنية.

3-الدّلالة النّسقية و هي ذات بعد نقدي ثقافي، و ترتبط بالجملة الثقافية .[32]

5.6-الجملة النوعية (الجملة الثّقافية):

الجملة الثّقافية كمصطلح هي مقابل للمصطلحين الجملة النحوية و الجملة الأدبية أما كمفهوم فهي مقابل للجملة الصريحة و للجملة الضمنية كما أراد ذلك الغذامي ."و (الجملة الثقافية) مفهوم يمس الذبذبات الدقيقة للتشكل الثقافي الذي يفرز صيغه التعبيرية المختلفة و يتطلب بالتالي نموذجا منهجيا يتوافق مع شروط هذا التشكل و يكون قادرا على التعرف عليها و نقدها.

و ستكون أنواع الجمل ثلاثا كالتالي :

1-الجملة النحوية ،المرتبطة بالدلالة الصريحة.

2-الجملة الأدبية ذات القيم البلاغية و الجمالية المعروفة.

3-الجملة الثقافية المتوالية عن الفعل النسقي في المضمر الدلالي للوظيفة النسقية في اللغة "[33].

6.6-المؤلف المزدوج :

يقترح الغذامي مفهوم و مصطلح (المؤلف المزدوج) ،فلقد رأى الغذامي أن في كل ما نقرأ و ما ننتج و ما نستهلك هناك مؤلفين اثنين ،أحدهما المؤلف المعهود ،مهما تعددت أصنافه كالمؤلف الضمني و العليم و التاريخي، و الثاني هو (الثّقافة) و هي مؤلف مضمر غير

ظاهر أو نسقي و هو الثّقافة ،"و المؤلف المعهود هو ناتج ثقافي مصبوغ بصبغة الثقافة أولا، ثم إن خطابه يقول من داخله أشياء ليست في وعي المؤلف، و لا هي في وعي الرعية الثقافية، و (المؤلف المزدوج) يرتبط بالدلالات النسقية حيث يعشّش التناقض المركزي و تفعل الأنساق أفاعيلها و تلك هي مهمة النقد الثقافي للكشف و التعرف".[34]

7.6-النّسق الثقافي :

لقد ظهر مصطلح (النسق) بمعاني مختلفة ك(البنية Structure) أو (النظام System)، مع اللغوي السويسري فرديناند دي سوسير، غير أن النسق الذي عناه الغذامي يأخذ قيما دلالية و سمات اصطلاحية خاصة كأن يتحدد عبر وظيفته لا عبر وجوده المجرد، و قد نوّه الغذامي بخطورة (النسق الثقافي) "في كونه مضمرا خفيا يمارس تأثيره بطريقة غير مباشرة و دون رقيب "،[35] "و قد حدّد الغذامي شروطا للوظيفة النسقية جمعها في أربعة نقاط بحيث إذا توفرت فسنكون أمام حالة من حالات الوظيفة النسقية :

1-نسقان يحدثان معا و في آن ،في نص واحد أو في ما هو بحكم النص الواحد.

2-يكون المضمر منهما نقيضا و مضادا للعلني ،فإن لم يكن هناك نسق مضمر من تحت العلني فحينئذ لا يدخل النص في مجال النقد الثقافي.

3-لابد أن يكون النص جميلا و يستهلك بوصفه جميلا ،بوصف الجمالية و هي أخطر حيل الثقافة لتمرير أنساقها و إدامتها .

4-لابد أن يكون النص جماهيريا و يحظى بمقروئية عريضة و ذلك لكي نرى ما للأنساق من فعل عمومي ضارب في الذهن الاجتماعي و الثقافي ."[36]

7.خاتمة:

إن مرحلة (ما بعد البنيوية) هي مرحلة مهمّة يعيشها النقد الأدبي المعاصر بصفة عامة و النقد العربي بصفة خاصة، فلقد استقطب العقل العربي أهم نظريات و مقولات هذه المرحلة و تفاعل معها بشتى أشكال التفاعل، و لعلّ تجربة النقاد العرب المعاصرين مع النقد الثقافي هي أبرز أنواع ذلك التفاعل.

و عليه فلقد استقطب النقد الثقافي و مفاهيمه عددا من المشتغلين في حقلي الفكر و النقد الأدبي ، بالإضافة إلى العديد من الكتاب، و من أبرز هؤلاء المهتمين : الناقد عبد الله الغذامي و الباحث الفلسطيني إدوارد سعيد و محسن جاسم الموسوي و عبد الفتّاح العقيلي و يوسف عليمات و عبد القادر الرباعي و صلاح قنصوة و المفكر عبد العزيز حمودة و غيرهم.

-إنّ من أبرز الأصوات النقدية العربية الدّاعية إلى تأصيل المصطلح النقدي بالعودة إلى التّراث الأصيل و

[1] ميجان الرويلي سعد البازعي: دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب ، ط3 ، 2002.
ص:306.

[2] نفسه ، ص ن .

[3] عبد الله الغذامي: النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط4 ، 2008، ص: 34-35.

[4]الهيجمونيا : يرى غرامشي أن السلطة تهيمن على الطبقة الكادحة و تمارس عليها الهيمنة عبر المدرسة و غيرها .

[5]حرب المراكز هي حرب ثقافية ضد القيم البرجوازية بواسطة اختراق وسائل الهيمنة (الهجمونيا) الهيمنة المضادة و الهيمنة الثورية لخلق ما يسميه غرامشي الكتلة التاريخية .

[6]حرب الحركة Mouvement:و هي تأتي بالتمرّد الجماهيري للثقافة و المثقف العضوي

[7]الثّقافة و المثقّف العضوي :المثقف العضوي دوره الكشف عن الهيمنة الممارسة عليه من طرف السلطة .

[8]يشير هذا المصطلح في كتابات غرامشي إلى مجموعة من التنظيمات الخاصة التي ترتبط بوظيفة الهيمنة حيث ينظر غرامشي إلى المجتمع المدني باعتباره جزءا من البنية الفوقية هذه البنية التي يميز فيها بين المجتمع المدني و المجتمع السياسي وظيفته الأولى الهيمنة عن طريق الثقافة و الأيديولوجيا مع السيطرة و الإكراه (أيمن الخولي "النقد الثقافي و كشف آليات السلطة "العدد:297،ص:02.

[9](أركيولوجيا المعرفة) أي أرشيف و حفريات المعارف بمعنى كيف تأسست المعارف و صارت مؤسسة مركزية .

[10]Foucault .Michel : Naissance de la clinique,Tunisie,1995 ,p :96.

[11]إدوارد سعيد وديع ولد الفاتح من نوفمبر1935 بالقدس و هو مزدوج الجنسية الفلسطينية و الأمريكية كان أستاذا جامعيا للغة الإنجليزية و الأدب المقارن في جامعة الو م أ .أهم مؤلفاته : الاستشراق ،بدايات القصد و المنهج ،العالم و الناقد و النص توفي يم 25 سبتمبر 2003.

[12]. سيد صالح سعد الدين : الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، بيروت، لبنان ، ط1، 2006، ص:19

[13] إبراهيم مصطفى و آخرون: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية القاهرة ،مصر ، ج1ص: 482

[14]ينظر : لخضر شلبي الجزائر: نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر، (دط)،2001، ص:26.

[15] ادوارد سعيد: الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق ، ترجمة :محمد عناني رؤية للنشر و التوزيع،1978، ص:55.

[16] نفسه، ص:58

[17] نفسه، ص:63.

[18]ينظر: هالة ماضوي: فهموم الاستشراق في فكر إدوارد سعيد " ، (ماستر) كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية ،جامعة محمد بوضياف ،المسيلة ، 2016-2015،ص: 55.

[19]الكولونيالية : (بالإنجليزية Colonialism) تطلق على السيطرة و التأثير الذي تفرضه الدولة المستعمرة على الكيان التابع لها،و النظام أو السياسة التي تنتهجها للحفاظ على سيطرتها ،و تأتي مرادفا للأمبريالية.

[20]Edward said :(orientalism) random House New york vintage book ;1978 ,p ;04.

[21]عبد الله الغذامي :المرجع نفسه، ص : 51.

[22]عبد الله بن محمد الغذامي الشمري ولد سنة 1946 أكاديمي و ناقد أدبي و ثقافي سعودي ،من مواليد عنيزة ،من منطقة القصيم ،أستاذ النقد و النظرية في جامعة الملك سعود بالرياض ،حاصل على دكتوراه من جامعة (اكستر) بريطانيا كان طرفا في المناقشات الأدبية التي شهدتها الساحة السعودية و نادي جدة الأدبي الثقافي تحديدا في فترة الثمانينيات بين الحداثيين و السلفيين .

[23] نفسه ،ص:58.

[24] نفسه ، ص:11.

[25] نفسه ، ص: 12.

[26] نفسه ، ص:12-13.

[27] نفسه ، ص:66-67.

[28]ينظر : نفسه ، ص:68.

[29] حسين السماهيجي و آخرون : عبد الله الغذامي و الممارسة النقدية القافية ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، البحرين، ط2003،3 ، ص:241.

[30] عبد الله الغذامي:المرجع نفسه، ص: 72-73.

[31] سمير الخليل: دليل مصطلحات الدراسات الثقافية و النقد الثقافي ، دار الكتاب العلمية ،بيروت ،لبنان ،ط1، 2014،ص:77.

[32] عبد الله الغذامي: المرجع نفسه، ص:75-76.

[33]نفسه، ص:77.

[34] نفسه، ص:97-80.

[35]ناذر كاظم : تمثلات الآخر صورة السود في المتخيل العربي الوسيط ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ،بيروت ، لبنان 2004.ص:09-10.

[36] عبد الله الغذامي: المرجع نفسه، ص:81.

9.المراجع:

1-الكتب العربية:

1- إبراهيم مصطفى و آخرون: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية القاهرة ،مصر ، ج1،(دت).

2- إدوارد سعيد: الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق ، ترجمة :محمد عناني رؤية للنشر و التوزيع،(دط)،1978.

3- حسين السماهيجي و آخرون : عبد الله الغذامي و الممارسة النقدية القافية ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، البحرين، ط2003،3.

4- سمير الخليل: دليل مصطلحات الدراسات الثقافية و النقد الثقافي، دار الكتاب العلمية ،بيروت ،لبنان ،ط1، 2014.

5- سيد صالح سعد الدين : الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، بيروت، لبنان ، ط1، 2006.

6- عبد الله الغذامي: النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط4 ، 2008.

7- ميجان الرويلي سعد البازعي: دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب ، ط3 ، 2002.

8- لخضر شلبي الجزائر: نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر، (دط)،2001.

9- ناذر كاظم : تمثلات الآخر صورة السود في المتخيل العربي الوسيط ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ،بيروت ، لبنان 2004.

2-الكتب الأجنبية:

1- Foucault .Michel : Naissance de la clinique,Tunisie,1995.

2- Edward said :(orientalism) random House New york vintage book ;1978 .

3-الرسائل الجامعية:

1- هالة ماضوي: فهموم الاستشراق في فكر إدوارد سعيد "، (ماستر) كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية ،جامعة محمد بوضياف ،المسيلة ، 2015-2016.